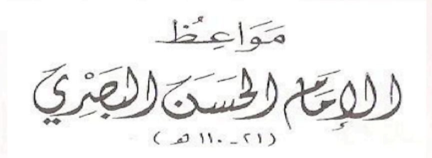
هذه صفحات من هذا الكتاب المبتكر



وقد استئذناه - حفظه الله - في

تصوير "بعض" صفحات كتبه فأذن جزاه الله خيراً

تصوير

marthad.wordpress.com

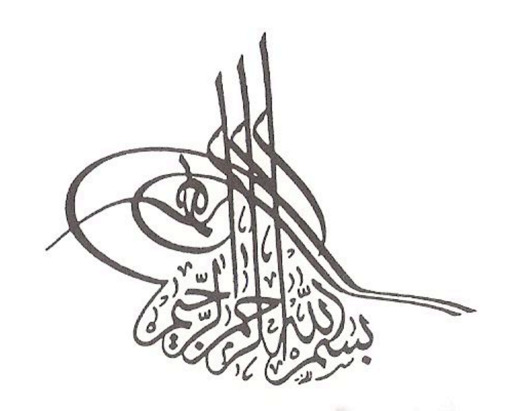
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

نشر على موقع الألوكة

مواعظ

الإمام الحسن البصري

(٢١-١١٠هـ)



معالم في التربية والدعوة

مواعظ
الإمام الحسن البصري

(٢١ - ١١٠ هـ)

قام بجمعها
صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية مصححة ومنقحة
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

المكتب الإسلامي
بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف: ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف: ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥

مقدّمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبَعْد:

فهذه هي الطبعة الثانية لكتاب «**مواعظ الإمام الحسن البصري**»، وهو العدد الأول من سلسلة «معالم في التربية والدعوة».

هذه السلسلة التي لاقت ـ والحمد لله ـ قبولاً واستحساناً من القرّاء الكرام، فهي تذكّر بالسلف الصالح من هذه الأمة، فتضع بين الأيدي نبذة عن حياتهم، وبعضاً من الأقوال التي تبين مكانتهم.. ثم تعرض نصائحهم وتوجيهاتهم.

علىٰ أن بعضهم يرىٰ في المواعظ ـ بشكل عام ـ أنها تدعو إلىٰ الانسحاب من الحياة، وإلىٰ ترك العمل والبعد عن الدنيا، والدخول في حال من الزهد

الأعجمي، في وقت أحوج ما نكون فيه إلىٰ العمل المتواصل وبناء الحياة، حتىٰ نحتل المكانة اللائقة بنا في هذا المجتمع الأممي.

وأكبر الظن أن أصحاب هذا المسلك لم يدرسوا كتب هذا الفن، ولم يستوعبوا ما جاء فيها، وظنوا أن «الموعظة» لا تكون «موعظة» إلا إذا كانت ذماً للدنيا، ودعوة إلىٰ تركها، وهذا خطأ في الفهم وبعدٌ عن الصواب.

وقد وقع هذا الخطأ من بعض التابعين الذين عاصروا الصحابة ﷺ.

قال أبو نضرة: طلبت حاجة إلىٰ عمر في خلافته، فانتهيت إلىٰ المدينة ليلاً، فغدوت عليه، وقد أُعطيتُ فطنة ولساناً، فأخذتُ في الدنيا فصغرتُها فتركتُها لا تسوىٰ شيئاً، وإلىٰ جنبه رجل أبيض الشعر، أبيض الثياب. فقال لما فرغتُ:

كل قولك كان مقارباً، إلا وقوعك في الدنيا، وهل تدري ما الدنيا؟ إن الدنيا فيها بلاغنا إلىٰ الآخرة، وفيها أعمالنا التي نُجزىٰ بها في الآخرة.

قال: فأخذ في الدنيا رجل هو أعلم بها مني، فقلت: يا أمير المؤمنين، من هذا الرجل الذي إلىٰ جنبك؟

قال: سيد المسلمين أُبيّ بن كعب[1].

وهكذا يصحح هذا الخطأ الخطير.

إن هذه السلسلة ـ وكثير من كتب الرقائق مثلها ـ تتناول كل شؤون الحياة، فتحث الكسالىٰ علىٰ العمل، وتدعو المنغمسين في المعاصي إلىٰ التوبة، والمنكبِّين علىٰ جمع الدنيا إلىٰ عدم نسيان ما ينبغي عمله من أجل الآخرة.

وهي تدعو إلىٰ التوازن في كل شؤون الحياة، وإلىٰ الحفاظ علىٰ الوقت، وإلىٰ تصحيح المفاهيم التي أصابها التحريف والتشويه.

إننا لا ننكر أن قسماً كبيراً منها ينصب في أمر الآخرة، وذلك ناتج عن الفهم الصحيح لغاية الوجود

---

(١) «مواعظ الصحابة» ص٢٦٢، نشره المكتب الإسلامي، بيروت.

الإنساني الذي سجله القرآن الكريم بقوله: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧].

إن الآية الكريمة تلفت النظر إلىٰ ضرورة العمل المتوازن فيعمل الإنسان للدنيا بقدر مقامه فيها ويعمل للآخرة بقدر مقامه فيها. وهذا أيضاً يفسّر لنا كثرة المواعظ المتعلقة بالآخرة.

وخلاصة القول: إن هذا الموضوع بمجموعه يدخل تحت قوله ﷺ: (الدين النصيحة).

وحاجة الأمة إلىٰ هذا اللون من الكتب، لا يقل بحال من الأحوال عن حاجتها إلىٰ كتب الفقه والعقيدة.

يقول الشيخ سعيد حوىٰ رحمه الله:

«افتح كتاب توحيد، وكتاب فقه.. فإنك لا تجد فيهما أي إشارة لقضية القلب وعلومه، فكتب التوحيد تعصم العقل من الخطأ في باب العقائد، وكتب الفقه تعصم العمل من الخطأ، ولكن لا تجد في هذه الكتب أي تفصيل في باب القلب والنفس والشعور.. ولا

تعثر فيها علىٰ بحث عن أدب الحياة والتعامل..»[1].

وقال الشيخ محمد الغزالي السقا رحمه الله:

«الدين الحق: عقل سليم، وضمير حي، أما الثروة الطائلة من النظريات، والفقر المدقع في المشاعر النبيلة، والاتجاهات الكريمة فليس تديُّناً مقبولاً.

والسؤال الذي نريد الإجابة عليه:

- كيف نحقق هذا الدين؟
- كيف نربي في القلوب الإحساس بجلال الله، والخشوع لعظمته؟
- كيف نجعل اليقين ينزل من السطح ليشتبك بالأعماق؟
- كيف نحول معرفة الله إلىٰ مذاق حلو يطبع النفوس علىٰ الرقة، ويصفي السرائر من كدرها...»[2].

---

(١) كتاب «جولات في الفقهين الكبير والأكبر» ص١١٨، دار الأرقم، عمان.

(٢) كتاب «ركائز الإيمان» ص١٠٢، دار الاعتصام.

وهكذا يلتقي الشيخان علىٰ طرح هذه المشكلة، التي جعلت بعض المسلمين في خواء روحي بعيداً عن الإسلام الذي جاء في الكتاب والسنّة.

ويذهب الشيخ الغزالي ليلقي الأضواء علىٰ أسباب المشكلة فيقول:

«إن علماءنا الأوائل كانوا يجمعون بين سعة العلم، وصدق الصلة بالله، والأجيال التي استمعت إليهم كانت تفيد منهم الأمرين معاً.

- نضارة القلب المتجه إلىٰ الله.
- وإشراق الفقه الذي يضيء الطريق إليه.

فهم علماء ومربون في وقت واحد..».

وإذا كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يسجل هذه الملاحظة ويشيد بها، فإنه في الوجه المقابل يسجل عتبه عليهم: أنهم لم يسجلوا هذا المسلك في كتبهم فيقول:

«.. إن هذا الجانب المهم من الثقافة الإسلامية اللازمة لم يلق العناية المستحقة لدىٰ جمهرة الفقهاء والمتكلمين.

إن فقهاءنا الذين كتبوا المجلدات في غسل

الأطراف ما كان يعيبهم أن يتناولوا هذا الجانب وأن يضبطوه بأدلتهم..

وإن المتكلمين الذين عقدوا الفصول الخطيرة في الشؤون الإلٰهية المغيبة، ما كان يعيبهم أن يحببوا الناس في الله..

لقد كان ذلك ـ والله ـ أجدىٰ علىٰ الإسلام وأهله، من بحوثهم العميقة في الذات والصفات..»[(١)].

إن الشيخين ـ الغزالي وحوىٰ رحمهما الله ـ وغيرهما ممن سجل مثل هذه الملاحظات يقررون وجود هذه المشكلة التي ينبغي السعي لحلها.. ولعل الغزالي يضع بين أيدينا واحداً من الحلول عندما قال:

«وإني أعترف بأني حسنت صلتي بالله كثيراً علىٰ أثر كلمات قرأتها لـ« الغزالي» و«ابن الجوزي» و«ابن تيمية» و«ابن القيم» و«ابن عطاء الله السكندري» مع ما بين أولئك جميعاً من تفاوت في المشرب واختلاف النظرة..»[(٢)].

---

(١) «ركائز الإيمان» ص١٠٣.
(٢) المرجع قبله، ص١٠٧.

والذي توصل إليه الشيخ الغزالي، كان الإمام ابن الجوزي قد قرره بوضوح كامل، وعرج علىٰ ما قاله الشيخ سعيد حوىٰ وعرضه بجلاء ووضوح فقال:

«رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين.

وما أخبرتك بهذا إلا بعد معالجة وذوق.

لأني وجدت جمهور المحدثين وطلاب الحديث، همة أحدهم في الحديث العالي، وتكثير الأجزاء.

وجمهور الفقهاء في علوم الجدل وما يغلب به الخصم.

وكيف يرقُّ القلب في هذه الأشياء؟!

وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح، للنظر إلىٰ سمته وهديه، لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه: هديه وسمته».

وبعد أن شرح ابن الجوزي المشكلة، وبيّن أسبابها، أطلعنا علىٰ جهده ومساهمته في حلها فقال:

«وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الأخيار كتاباً فيه أخباره وآدابه، فجمعت كتاباً في أخبار «الحسن» وكتاباً في أخبار «سفيان الثوري» و«إبراهيم بن أدهم» و«بشر الحافي» و«أحمد بن حنبل» و«معروف» وغيرهم من العلماء والزهاد، والله الموفق»[(١)].

وهكذا يلتقي الغزالي مع ابن الجوزي في أثر المواعظ في النفوس علىٰ ما بينهما من فاصل زمني.

إن الكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، عندما تخرج من معدنها، هذا المعدن الذي هو الرجل المسلم الصالح الذي التزم بالكتاب والسنّة، وعمل بما علم، وكانت موعظته ونصيحته عملاً بقوله ﷺ: (الدين النصيحة).. إنه لا بد لمثل هذه الكلمة أن تؤتي ثمارها.

وإني إذ أضع هذه السلسلة بين الأيدي، فإنما أضع خلاصة تجارب حياة، وتطبيقات عِلْم لأئمة أعلام، طبقت شهرتهم الآفاق، وعرفوا بالفضل

(١) «صيد الخاطر» ص٢٠٠، طبعة دار كاتب وكتاب، بيروت.

وصدق النصح لهذه الأمة في حياتهم، وبما تركوه بعد مماتهم.

والله ـ سبحانه ـ المرجو أن ينفعنا بما نسمع، وأن نعمل به ليكون حجة لنا لا حجة علينا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة صفر ١٤٢٥هـ

٢٢ آذار ٢٠٠٤م

صالح أحمد الشامي

مقدّمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم علىٰ سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. وَبَعْـد:

ما زالت الكلمة الطيبة وسيلة من الوسائل الفعالة في تقويم سلوك الناس وإرشادهم إلىٰ الطريق المستقيم، ورُبَّ كلمة سمعها مذنب أو مقصر فكانت سبباً في تغيير طريقه وتحويل اتجاهه... فكان لها ثمرات يانعة.

ولهذا المعنىٰ كان العالم امتداداً لمعنىٰ النبوة في الخلق، وبهذا المعنىٰ كان العلماء ورثة الأنبياء. فهم قادة الأمة علىٰ طريق الحق، وبسلوكهم ومواعظهم تكون المعالم علىٰ الطريق..

ومن هؤلاء العلماء الربانيين، الذين امتلكوا ناصية الكلمة، فكانت طوع لسانهم يغذيها الفكر

الثاقب والإيمان المتدفق، مع صدق في اللهجة، وتطبيق للقول. . الإمام الحسن البصري، رحمه الله تعالىٰ.

فقد كان واحداً من العلماء العاملين، والزهاد الورعين، وقد آتاه الله الحكمة حتىٰ قيل في وصف كلامه: أنه يشبه كلام الأنبياء، كما أن سمته شبيه بسمت الصحابة رضي الله عنهم. . فكتب الله له القبول في القلوب.

ولقد شملت مواعظه وأقواله شتىٰ ميادين الحياة، موجِّهة إلىٰ الحق، باعثة علىٰ الخير مرغبة فيه، منفرة من الشرّ، نافذة إلىٰ حقائق الأشياء، لأنها مرَّت عَبْرَ ميدان التطبيق في الحياة، ولم تكن مجرد كلام منمق صاغه الفكر بعيداً عن الواقع، فكان جميل الرواء فاقد الحياة.

كانت الموعظة عند الحسن خلاصة تجربة اشترك فيها الإيمان والعمل، ولذلك جاءت صادقة معبرة، فهي وصفة طبيب حاذق مجرب، يصفها عن علم ودراية، ولذا جاءت نافعة مؤثرة.

فقد نفع الله بمواعظه كثيراً من الناس. . فكانت

الكلمة الطيبة التي ضربها الله مثلاً، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم].

وعلىٰ الرغم من قيمة هذه المواعظ وسعة أثرها، فإنها ظلت متناثرة في كتب الرقائق والأدب، فكان الوصول إليها يحتاج إلىٰ الجهد والوقت.

فرأيت أن أقوم بجمع ما تيسَّر لي منها، لتكون قريبة المتناول، فعسىٰ أن تصل كلمة منها إلىٰ أذن واعية فيكون فيها الهداية والخير.

وقد وضعت لكل موعظة أو حكمة عنواناً يشير إلىٰ بعض ما فيها تيسيراً علىٰ القارئ، ولم أقصد إلىٰ ترتيب الموضوعات، ذلك أن التلوين يبعث في القارئ الهمة ويبعده عن الملل.

وإن كان من شيء أتمناه لنفسي ولإخواني من المسلمين، فهو أن ينفعنا الله بما نقرأ، وأن يكون ذلك دافعاً إلىٰ العمل، وألّا يكون مجرد قراءة تقوم بها الحجة علينا.

هذا، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل وجميع

أعمالنا خالصة له، إنه نعم المسؤول. وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة المحرم ١٤١٨هـ
٧/ ٥/ ١٩٩٧م

صالح أحمد الشامي

ترجمة الحسن رحمه الله

الحسن بن يسار ـ ويقال له أيضاً: الحسن بن أبي الحسن ـ أبو سعيد البصري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه (سنة ٢١هـ) من أبوين جُلِبَا إلىٰ المدينة من سبي ميسان[(١)].

قال الحسن: كان أبي وأمي لرجل من بني النجار، فتزوج امرأة من بني سلمة، فساق أبي وأمي في مهرها، فأعتقتنا السلمية.

وفي رواية أن أباه كان مولىً لزيد بن ثابت الأنصاري، وأن أمه كانت مولاة لأم سلمة، زوج النبي ﷺ.

ومهما يكن من أمر، فإن والدَيْ الحسن كانا رقيقين أُعتقا.

---

(١) هي كورة بين البصرة وواسط.

وكانت أمه تخدم أم سلمة، فكانت ترسلها في الحاجة، فتشغل عن ابنها الصغير، فكانت أم سلمة تشاغله بثدييها، فيدران عليه، فيرضع منهما، فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أُوتيها الحسن من بركة تلك الرضاعة.

نشأ الحسن ـ إذن ـ في المدينة، والتقىٰ بالصحابة وسمع منهم.

كان رَحِمَهُ اللهُ وسيماً جميلاً، حتىٰ كان ذلك علامة مميزة له، فقد قال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة: إذا نظرت إلىٰ رجل أجمل أهل البصرة وأهيبهم فهو الحسن، فأقرئه مني السلام.

وكان من الشجعان الموصوفين، وكان المهلب بن أبي صفرة إذا قاتل المشركين يقدمه.

قال محمد بن سعد: كان الحسن رَحِمَهُ اللهُ جامعاً عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقة، حجة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً..

وكان خطيباً فصيحاً، بل هو من أفصح الناس[1].

---

(١) هذه الترجمة ملخصة من: «سير أعلام النبلاء» ٤/٥٦٣ وما بعدها، و«البداية» ٩/٢٦٦ وما بعدها.

علمه ووعظه:

كان رَحِمَهُ اللهُ المقدم في علمه، حتىٰ أُطلق عليه لقب «شيخ البصرة».

فقد كان فقيهاً، محدثاً، مفسراً.. وأقواله منثورة في كتب الفقه والتفسير، وكذلك مروياته من الأحاديث منثورة في كتب الحديث.

وقد كان واعظاً متمكناً، له تأثيره علىٰ القلوب، ولعل هذا الجانب هو الذي غلب علىٰ شهرته.

وهو في وعظه مطبق لما يدعو الناس إليه، وهذا ما جعل له القبول في القلوب.

وقد تحدث مالك بن دينار، عن الذين كان لهم الأثر في القلوب فقال: «بلىٰ والله، لقد رأيناهم: الحسن، وسعيد بن جبير، وأشباههم، الرجل منهم يحيي الله بكلامه الفئام[1] من الناس»[2].

وقال الأعمش: ما زال الحسن البصري، يعي

---

(١) الفئام: الجماعة من الناس.

(٢) «حلية الأولياء» ٢/ ٣٦٠.

الحكمة حتىٰ نطق بها، وكان إذا ذكر عند أبي جعفر، محمد بن علي بن الحسين ـ الباقر ـ قال: «ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء»[1].

وقال الغزالي: «كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة»[2].

ومن الكلمات الدقيقة الصادقة في تصويرها للحسن في وعظه، ما قال مطر الوراق في ذلك: «لما ظهر الحسن جاء كأنما كان في الآخرة، فهو يخبر عما عاين»[3].

سلوكه وزهده

قال أبو بردة بن أبي موسىٰ الأشعري: «ما رأيت أحداً أشبه بأصحاب محمد ﷺ منه»[4].

وقال خالد بن صفوان: لما لقيت مسلمة بن عبد الملك بالحيرة، قال: يا خالد، أخبرني عن حسن

---

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٤٧، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٥.
(٢) «إحياء علوم الدين» ١/ ٧٧.
(٣) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٧٣.
(٤) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٧٢.

أهل البصرة. قلت: أصلح الله الأمير، أخبرك عنه بعلم، أنا جاره إلىٰ جنبه، وجليسه في مجلسه، وأعلم من قِبَلي به:

«أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبه قولاً بفعل، إن قعد علىٰ أمر قام به، وإن قام علىٰ أمر قعد عليه، وإن أَمَرَ بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهىٰ عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه».

قال: حسبك يا خالد، كيف يضلُّ قوم هذا فيهم؟![1].

وكان الحسن دائم الأحزان، فقد غلب عليه ذكر الآخرة، ولكنَّ هذا لم يوصله إلىٰ السلوك الأعجمي الذي بدأ يتفشىٰ في زمنه.

فقد كان معتدلاً في طعامه، قال أبو هلال: «قلما دخلنا علىٰ الحسن؛ إلا وقد رأينا قدراً يفوح منه ريح طيبة»[2].

---

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٤٧.
(٢) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٤.

بل كان له عناية بالفاكهة، وهي من النوافل في أمر الطعام، قال قتادة: «دخلنا علىٰ الحسن وهو نائم، وعند رأسه سلة، فجذبناها، فإذا فيها خبز وفاكهة، فجعلنا نأكل، فانتبه فرآنا، فسرَّه فتبسم وهو يقرأ: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾[1] [النور: ٦١].

كما كان متأنقاً في ملبسه. قال يونس: «كان الحسن يلبس في الشتاء قَبَاءً حبرة، وطيلساناً كردياً، وعمامة سوداء، وفي الصيف إزار كتان، وقميصاً وبرداً حبرة»[2].

وقال سلام بن مسكين: رأيت علىٰ الحسن قَباء مثل الذهب يتألق[3].

والذي يبدو أنه كان يلبس ما تيسر له، وقد سئل عن رأيه في أحب اللباس فقال: أغلظه وأخشنه، وأوضعه عند الناس[4].

وهذا لا يعني إقراره لبعض النساك في ذهابهم

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٧٧.

(٢)(٣) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٧٥.

(٤) «الحسن البصري» لابن الجوزي ٧٧.

إلىٰ قصد الخشونة في اللباس، بل كان ينكر عليهم، فقد ذكر عنده الذين يلبسون الصوف، فقال: ما لهم؟ تفاقدوا[1]... أكنّوا الكِبْرَ في قلوبهم[2]..

وأما أثاث بيته فكان متواضعاً. قال مطر الوراق: دخلنا علىٰ الحسن نعوده، فما كان في البيت شيء، لا فراش ولا بساط ولا وسادة ولا حصير؛ إلا سرير مرمول[3] هو عليه[4].

وهذه الصورة تذكرنا بالصورة التي نقلها لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ عندما قال:

(فدخلت علىٰ رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع علىٰ رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئاً علىٰ وسادة من أدم حشوها ليف.. فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت في بيته شيئاً يرد البصر..)[5].

---

(١) هذا دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً.

(٢) «عيون الأخبار» ٢/ ٣٧٢.

(٣) أي: سرير نسج من حصير.

(٤) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٢.

(٥) متفق عليه (خ٥١٩١، م ١٤٧٩)، وقد تكررت الصورة نفسها في فعل عمر رضي الله عنه.

وإذن فقد كان الحسن بفعله هذا متأسياً برسول الله ﷺ.

وكان محل إجماع العلماء ـ في زمنه وما بعده ـ في الثناء عليه، وكانوا يتناقلون أخباره في حياته.

قال أبو بكر الهذلي: قال لي السفاح: بأي شيء بلغ حَسَنَكُم ما بلغ؟ فقلت: جمع القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم لم يخرج من سورة إلىٰ غيرها حتىٰ يعرف تأويلها، وفيما أُنزلت، ولم يقلب درهماً في تجارة، ولا ولي سلطاناً، ولا أمر بشيء، حتىٰ يفعله، ولا نهىٰ عن شيء حتىٰ ودعه[١].

وفاته:

عن أبان بن محبر قال: لما حضر الموت الحسن دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا له: يا أبا سعيد، زودنا منك كلمات تنفعنا بهن.

قال: إني مزودكم ثلاث كلمات، ثم قوموا عني ودعوني ولما توجهت له: ما نُهيتم عنه من أمر،

---

(١) «شذرات الذهب» لابن عماد الحنبلي، ١/١٣٧.

فكونوا من أترك الناس له، وما أُمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا أن خطاكم خطوتان: خطوة لكم وخطوة عليكم[١]، فانظروا أين تغدون وأين تروحون[٢].

وقال صالح المري: دخلت علىٰ الحسن وهو في الموت، وهو يكثر الاسترجاع[٣]، فقال له ابنه: أمثلك يسترجع علىٰ الدنيا[٤]؟ قال: يا بني، ما استرجع إلا علىٰ نفسي التي لم أصب بمثلها قط[٥].

---

(١) أعطىٰ الإسلام الوسائل حكم الغايات، فخطوات كل إنسان نوعان: فما كان في سبيل الخير كالذهاب إلىٰ الصلاة فهو مثاب عليه، وما كان في سبيل الشر ففيه الإثم.

(٢) «حلية الأولياء» ٢/١٥٤.

(٣) هو قول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقد جاء في ذلك قوله تعالىٰ:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة].

(٤) ظن الابن أن أباه يسترجع بسبب ما فاته من الدنيا بسبب الموت.

(٥) «عيون الأخبار» ٣/١٦٧.

وكانت وفاة الحسن رضي الله عنه ليلة الجمعة في أول رجب من سنة عشر ومائة، وقد عاش كما قال ابنه، نحواً من ثمان وثمانين سنة.

وكانت جنازته مشهودة وصلي عليه عقيب صلاة الجمعة بالبصرة، فشيعه الخلق وازدحموا عليه.

قال حميد الطويل: وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفناه، فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به، فلم تقم صلاة العصر بالجامع، ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ، لأنهم تبعوا كلهم الجنازة، حتىٰ لم يبق بالمسجد من يصلي العصر[١].

فرحم الله الحسن وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٤/٥٨٧، «وفيات الأعيان» ٢/٧٢.

محاور الوعظ عند الحسن رحمه الله

كان الحسن رحمه الله علماً من أعلام المسلمين في شتىٰ ميادين المعرفة، فكانت حلقته يمر فيها: الحديث والفقه، وعلم القرآن واللغة.. وكان رواد حلقته منهم من كان يصحبه للحديث، ومنهم من كان يصحبه للقرآن والبيان، ومنهم من يصحبه للبلاغة، ومنهم من يصحبه للإخلاص وعلم التربية..

ولكن شهرته ـ فيما بعد ـ كواعظ زاهد، طغت علىٰ كل ما سبق، ومن ثم أصبحت أقواله في هذا الميدان، هي المعالم التي يهتدي بها السائرون في هذا الطريق.

وإذا كان الأمر كذلك، فمن المستحسن أن نقف بين يدي أقواله، نستطلع المحاور التي سلكها في وعظه، والأسس التي أكدَّ عليها في مواعظه، لعل ذلك يساعدنا في التصور الذي كان يهدف إليه الحسن رحمه الله.

ويمكن إجمال ذلك في الأمور التالية:

١ ـ التزام الكتاب والسنة:

كان ذلك في مقدمة ما ألحَّ عليه شيخ البصرة، فهو يقول في هذا الصدد: «رحم الله امرأً خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمد ربه.. وإن خالفه.. أناب ورجع من قريب».

ويؤكد علىٰ التزام السنة، فهي الطريق الوسط بعيداً عن الغلو والجفاء، ويرىٰ أن أهلها هم أقل الناس.

والتزام الكتاب والسنة يتطلب العلم، ولذا فهو يقول: «الدنيا كلها ظُلْمة إلا مجالس العلماء».

٢ ـ المقارنة بين جيلين:

كثيراً ما كانت مواعظه عن المقارنة بين جيلين: الجيل الذي أدركه وهو جيل الصحابة ﷺ، وجيل تابع التابعين الذين أدركوه.

وهو في مقارنته تلك يريد لفت النظر إلىٰ ما كان عليه السلف، حتىٰ يحذو السامع حذوهم، ويسير علىٰ هدي خطاهم.

فهو يذكر لنا مشاهداته، فيقول مثلاً:

«أدركتهم عاملين بكتاب ربهم، متبعين سنة نبيهم، ما طوىٰ أحدهم ثوباً..».

ويقول:

«أدركت من صدر هذه الأمة قوماً، كانوا إذا أجنَّهم الليل، فقيام علىٰ أطرافهم، يفترشون وجوههم..».

وهكذا ينقل هذه الصور المؤثرة الباعثة علىٰ العمل..

وقد تستفزّه بعض صور الواقع، الذي بَعُدَ عن الصورة الحقة للإسلام، فيدفعه ذلك إلىٰ بيان الفارق بين من يخاطبهم وبين من أدركهم فيقول:

«والله لقد أدركت سبعين بدرياً.. ولو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق..».

إنه يسعىٰ جاهداً لإعادة الصورة التي شاهدها في الصحابة إلىٰ واقع الحياة.

ولعل هذه القضية التي كانت تشغل باله، هي إحدىٰ عوامل الحزن الذي سيطر علىٰ حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ ـ ذكر الدنيا والآخرة:

ذكر الدنيا والآخرة عنده كثير، وهما متلازمتان، فالدنيا دار عمل للآخرة، وهي ميدان التنافس في أعمال البر والخير. والدنيا وسيلة، والآخرة غاية، وهو في هذا الميدان يريد بيان ضآلة الدنيا بالنسبة للآخرة من حيث مدة العيش فيها. ومن حيث نعيم كل منهما.. ثم يخلص إلىٰ أن صرف الهمة إلىٰ الدنيا وإهمال الآخرة. حمق وغرور.

٤ ـ قيمة الوقت:

والحديث عن الدنيا والآخرة يجرنا إلىٰ الحديث عن قيمة الوقت، وهذه القضية تأخذ مساحة لا بأس بها من مواعظه. فيقول:

«يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك».

وهكذا ينبه إلىٰ أمر خطير، بادٍ للعيان، ولكن الناس عنه غافلون، ويزيد الأمر جلاء عندما يبين ـ بأسلوبه المؤثر ـ أن الإنسان بعد موته يتمنىٰ أن يعود إلىٰ الدنيا ولو لساعة واحدة مقابل كل ما تركه لأبنائه

من متاع الدنيا، ليصلي صلاة في هذه الساعة، أو ليسبح تسبيحة، أو يحمد تحميدة..

وهكذا ينبه إلىٰ قيمة الأوقات الضائعة.

٥ ـ الإخلاص في القول والعمل:

وهذا يقتضي البعد عن النفاق والرياء، والعجب بالنفس، كما يقتضي محاسبة النفس ووزن أعمالها..

وقد كثرت مواعظ الحسن في هذا الجانب، بل قلما نجد موعظة إلا وفيها طرف من معالجة هذا الموضوع الخطير في حياة الإنسان، الذي به يكون قبول القول والعمل.

٦ ـ الذنب والتوبة:

لا شك بأن المواعظ من غايتها توبة المذنبين.. وباب التوبة مفتوح، وهذا من فضل الله، ورحمة بعباده.

ولكن الحسن يدعو إلىٰ الأمر الأَوْلىٰ فيقول:

«ابن آدم، ترك الخطيئة أهون عليك من معالجة التوبة..»

وبهذا يحاول بيان الطريق الأسلم والأقرب..

٧ ـ الإسراف وفضول الأموال:

وتأخذ القضية الاقتصادية جانباً من اهتمامه، ففضول الأموال ـ كما يراها ـ ليست للتنعم، وإنما لسد حاجة الآخرين، فيقول:

«رحم الله رجلاً كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً ليوم فقره، وجِّهوا هذه الفضول حيث وجهها الله، وضعوها حيث أمر..».

٨ ـ البعد عن السلطان:

وينصح الحسن بالبعد عن الحكام، فالقرب منهم محل للنفاق، وركون إلىٰ الظلم، ولذا ينصح بالبعد عنهم فيقول:

«ولا تدخل علىٰ سلطان، ولو قلتَ: آمره بالمعروف وأنهاه عن المنكر».

وينكر علىٰ الذين يدعون للظلمة فيقول: من دعا لظالم بالبقاء؛ فقد أحب أن يعصىٰ الله في أرضه.

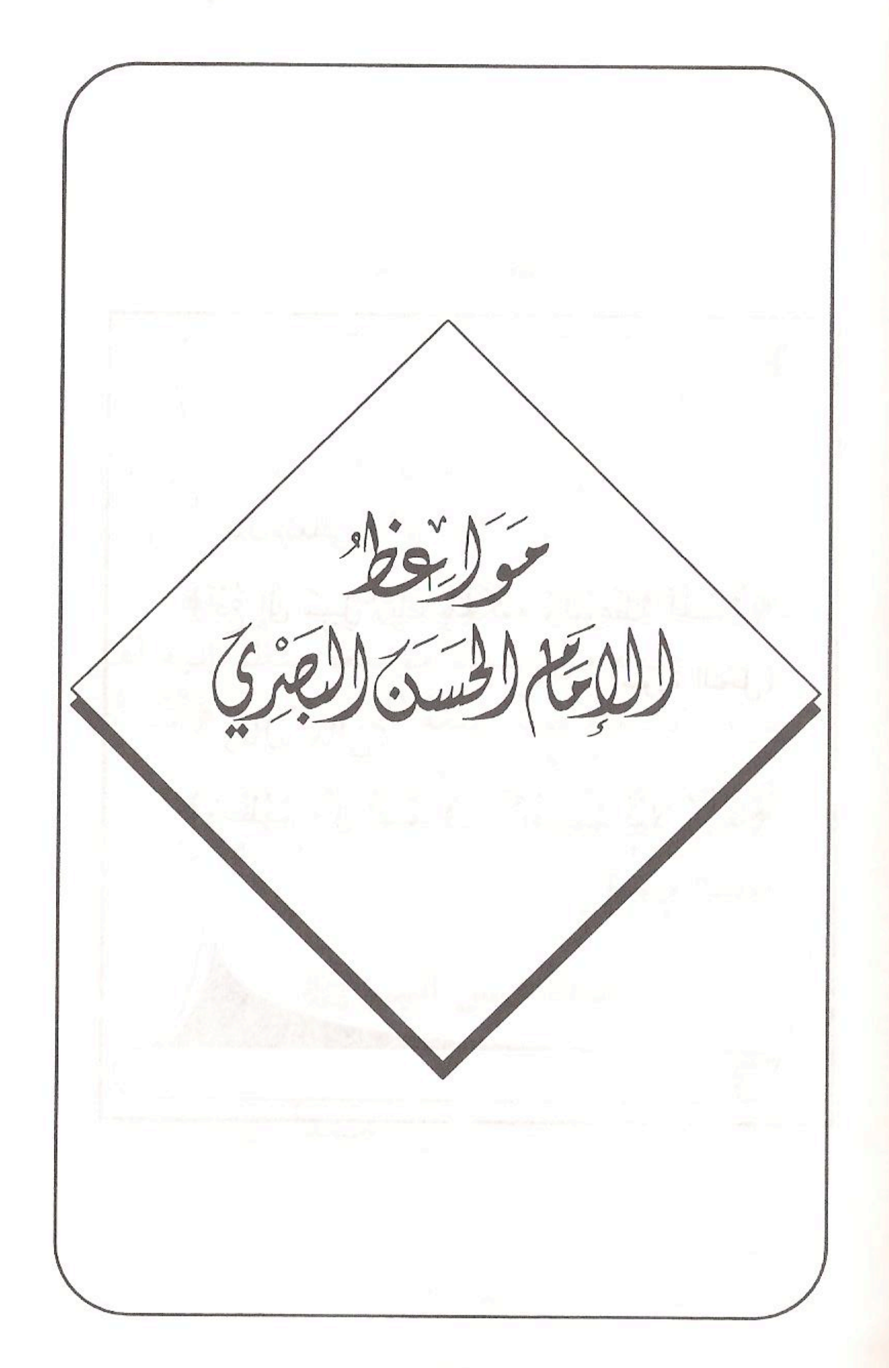
٩ ـ محاسبة النفس:

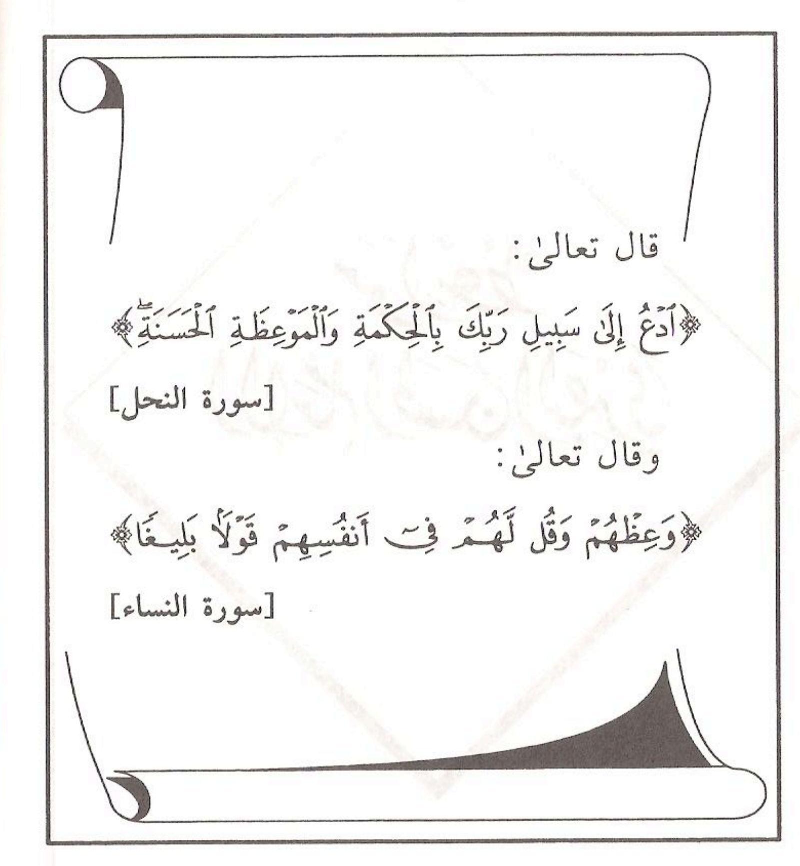
وهو محور عظيم دارت حوله مواعظ كثيرة للحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو ينصح ابن آدم أن يشتغل بالنظر بعيوب نفسه.. وسوف يكون له في ذلك عمل لا يدع له وقتاً للنظر إلىٰ عيوب الناس، أو الكلام في غيبتهم.

١٠ ـ ذكر الموت:

وهو الأمر الذي لا بد منه لكل إنسان، ومع ذلك فإن كثيراً من الناس غافلون عنه، وهم دائماً بحاجة إلىٰ من يذكّرهم به، ولهذا تنوعت كلماته في هذا الموضوع وجاءت بأساليب متعددة..

تلك هي بعض الخطوط العريضة التي اندرجت تحتها مواعظ الحسن، لتنتهي جميعاً إلىٰ غاية واحدة، وهي توحيد الله تعالىٰ ومحبته. وبهذا تكون السعادة المنشودة في الدنيا والآخرة.


مواعظ
الإمام الحسن البصري



الأسوة الحسنة

قال الحسن:

إن الله تعالىٰ بعث محمداً ﷺ علىٰ علم منه: اختاره لنفسه، وبعثه برسالته، وأنزل عليه كتابه، وكان صفوتَه من خلقه، ورسولَه إلىٰ عباده.

ثم وضعه من الدنيا موضعاً ينظر إليه أهل الأرض، وآتاه منه قوتاً وبُلْغَةً[1]، ثم قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فرغب أقوام عن عيشه، وسخطوا ما رضي له ربه، فأبعدهم الله وأسحقهم[2].

صفة عيش النبي ﷺ

قال الحسن:

لما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ، يعرفون

(١) البلغة: ما يتبلغ به من العيش، أي: الشيء القليل.

(٢) «البيان والتبيين» للجاحظ، ٣/١٣٢.

وجهه، ويعرفون نسبه، قال: هذا نبيٌّ، هذا خياري[١]، خذوا من سنته وسبيله.

أما والله! ما كان يُغدىٰ عليه بالجفان[٢] ولا يراح، ولا يغلق دونه الأبواب، ولا تقوم دونه الحجبة.

كان يجلس بالأرض، ويوضع طعامه بالأرض، ويلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف خلفه، وكان يلعق يده[٣].

الصحابة رضي الله عنهم

قال الحسن يصف الصحابة ﵃:

أدركت صدر هذه الأمة وخيارها، وطال عمري فيهم، فوالله إنهم كانوا فيما أحل الله أزهدَ منكم فيما حرم الله عليكم.

أدركتهم عاملين بكتاب ربهم، متبعين سنة

(١) أي: هذا ما اخترته لكم.
(٢) الجفان: جمع جفنة، وهي: قصعة الطعام.
(٣) «حلية الأولياء» للأصبهاني، ٢/ ١٥٣.

نبيهم. ما طوىٰ أحدهم ثوباً[١]، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً، ولا أمر أهله بصنع طعام.

كان أحدهم يدخل منزله، فإذا قُرِّبَ إليه شيء أكل، وإلا سكت فلا يتكلم في ذلك[٢].

فضول الأموال

قال الحسن:

رحم الله امرأً كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً.

وجِّهوا هذه الفضول[٣] حيث وجهها الله، وضعوها حيث أمر الله، فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم، ويؤثرون بالفضل.

ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها، فلا والله ما وجد ذو لبٍ فيها فرحاً، فإياكم وهذه السبل المتفرقة، التي جماعها الضلالة، وميعادها النار.

(١) أي: ليس له ثوب آخر حتىٰ يطويه.
(٢) «البداية» ٩/ ٢٧٢، أي: أنّ أمر الطعام لم يكن يشغل حيزاً من اهتماماتهم.
(٣) أي: ما زاد عن حاجة الإنسان من كل شيء.

أدركت من صدر هذه الأمة قوماً، كانوا إذا أجنَّهم الليل[1] فقيام على أطرافهم، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون مولاهم في فكاك رقابهم، إذا عملوا الحسنة سرَّتهم، وسألوا الله أن يتقبلها منهم، وإذا عملوا سيئة ساءتهم، وسألوا الله أن يغفرها لهم.

يا ابن آدم، إن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس هاهنا شيء يغنيك، وإن كان يغنيك ما يكفيك، فالقليل من الدنيا يغنيك.

يا ابن آدم، لا تعمل شيئاً من الحق رياء، ولا تتركه حياء[2].

صفة أصحاب النبي ﷺ

قيل للحسن: أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ.

فبكى الحسن، ثم قال:

---

(١) أي: سترهم الليل بظلامه.
(٢) «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٥.

ظهرت منهم علامات الخير في السيماء[1] والسمت[2]، والهدى والصدق، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد، وممشاهم بالتواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقادتهم[3] للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم.

ظمئت هواجرهم[4]، ونحلت أجسامهم.

واستخفوا بسخط المخلوقين رضى الخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا في جور، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن.

شغلوا الألسن بالذكر.

بذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم في المخلوقين.

---

(١) السيماء: العلامة.
(٢) السمت: هيئة أهل الخير.
(٣) أي: انقيادهم.
(٤) هواجرهم: ج هاجرة، وهي نصف النهار، والمراد أنهم صاموا فأصابهم الظمأ بسبب ذلك عند شدة الحر.

حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، وكفاهم اليسير من دنياهم إلىٰ آخرتهم[١].

النجاة النجاة

قال الحسن:

من رأىٰ محمداً ﷺ، فقد رآه غادياً رائحاً، لم يضع لَبِنة علىٰ لَبِنة، ولا قصبة علىٰ قصبة، رُفِعَ له علم فَشَمَّرَ له.

النجا النجا، ثم الوحا الوحا[٢]، علامَ تعرجون؟ وقد أُسْرِعَ بخياركم، وذهب نبيكم ﷺ، وأنتم كلَّ يوم تَرذُلون[٣]، العيان العيان[٤].

حقيقة العمر

قال الحسن:

يا ابن آدم، نهارك ضيفك، فأحسن إليه، فإنك

---

(١) «حلية الأولياء» ٢/ ١٥٠، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٦.

(٢) أي: الإسراع والعجلة.

(٣) الرذل: هو الردي، من كل شيء.

(٤) «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٢، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٨.

إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أنت أسأت إليه ارتحل بذمِّك، وكذلك ليلك[١].

وقال:

ابن آدم، طأ الأرض بقدمك، فإنها عما قليل قبرك، إنك لم تزل في هدم عمرك، منذ سقطت من بطن أمك[٢].

وقال:

ابن آدم، أصبحت بين مطيتين، لا يعرجان بك - خطر الليل والنهار - حتىٰ تقدم الآخرة، فإما إلىٰ الجنة، وإما إلىٰ النار، فمن أعظم خطراً منك؟![٣].

وقال:

ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم، ذهب بعضك[٤].

---

(١) «البيان» ٣/ ١٦٤.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٥٥، و«البيان» ٣/ ١٣٣، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٤٠.

(٣) «الحلية» ٢/ ١٥٢.

(٤) «الحلية» ٢/ ١٤٨، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٤.

الدِّين

قال الحسن:

يا ابن آدم، دينَك دينَك[1]، فإنه هو لحمك ودمك، إن يَسْلَمْ لك دينك، يَسْلَمْ لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرىٰ فنعوذ بالله، فإنها نار لا تطفئ، وجرح لا يبرأ، وعذاب لا ينفد أبداً، ونفس لا تموت[2].

بين جيلين

قال الحسن:

نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع علىٰ بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئاً.

ويحك يا ابنَ آدم، هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إنه من عصىٰ الله فقد حاربه.

والله لقد أدركت سبعين بدرياً، أكثر لباسهم

---

(١) أي: ٱلزمْ دينك وحافظ عليه.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٤٥، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٢.

الصوف، ولو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب.

ولقد رأيت أقواماً، كانت الدنيا أهون علىٰ أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقواماً يمسي أحدهم، وما يجد عنده إلا قوتاً، فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلن بعضه لله عز وجل، فيتصدق ببعضه، وإن كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه[1].

وقال:

لقد أدركت أقواماً، كانوا أأمر الناس بالمعروف، وآخذهم به، وأنهىٰ الناس عن منكر، وأتركهم له.

ولقد بقينا في أقوام أأمر الناس بالمعروف، وأبعدهم منه، وأنهىٰ الناس عن المنكر، وأوقعهم فيه. فكيف الحياة مع هؤلاء؟![2].

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٣٤.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٥٥، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٩.

وقال:

كان من كان قبلكم، أرق منكم قلوباً، وأصفق ثياباً، وأنتم أرقُّ ثياباً، وأصفق منهم قلوباً[1].

الغرور بالناس

قال الحسن:

رحم الله رجلاً لم يغرَّه كثرة ما يرىٰ من كثرة الناس.

ابنَ آدم، إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، وأنت المعنيُّ، وإياكَ يرادُ[2].

العجب بالنفس

مرَّ شاب عليه بردة بالحسن، فدعاه وقال:

إيه ابنَ آدم، معجب بشبابه، معجب بجماله، معجب بثيابه، كأن القبر قد وارىٰ بدنك، وكأنك قد

(١) «البيان» ٣/ ١٧٠.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٥٥، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٩.

لاقيتَ عملك، فداوِ قلبك، فإن حاجةَ الله إلىٰ عباده صلاح قلوبهم[1].

النفاق

قال الحسن:

ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق[2].

وقيل للحسن: إن قوماً يقولون: إنا لا نخاف النفاق. فقال:

والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق، أحب إليّ من تلاع[3] الأرض ذهباً.

وقال:

إن من النفاق: اختلاف اللسان والقلب، والسر والعلانية، والمدخل والمخرج[4].

(١) «الحلية» ٢/ ١٥٤، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٨.

(٢) «البداية» ٩/ ٢٧٣.

(٣) تلاع: جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض، ومسيل الماء، وما اتسع من فوهة الوادي. والذي في كتاب «قوت القلوب» ١/ ٢٣٤: «لو أني أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس».

(٤) «إحياء علوم الدين» ١/ ١٢٣.

حساب النفس

قال الحسن:

إن المؤمن قوَّام علىٰ نفسه، يحاسب نفسه لله.

وإنما خف الحساب يوم القيامة علىٰ قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة علىٰ قوم أخذوا هذا الأمر علىٰ غير محاسبة.

إن المؤمن يفجؤُه الشيء، يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من وصلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك.

ويفرط منه الشيء، فيرجع إلىٰ نفسه فيقول: ما أردت إلىٰ هذا؟ ما لي ولهذا؟ والله ما لي عذر بها، ووالله لا أعود لهذا أبداً، إن شاء الله.

إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن[1]، وحال بينهم وبين هلكتهم.

إن المؤمن أسيرٌ في الدنيا، يسعىٰ في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتىٰ يلقىٰ الله عز وجل، يعلم أنه

---

(١) أي: التزموا القرآن، فضبطوا أعمالهم علىٰ ما فيه.

مأخوذ عليه في ذلك كله[1].

النفس اللوامة

قال الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[2] [القيامة].

قال: لا تلقىٰ المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردتِ بكلمة كذا؟ ما أردتِ بأكلة كذا؟ ما أردتِ بمجلس كذا؟

وأما الفاجر فيمضي قُدُماً قدماً، لا يلوم نفسه[3].

واعظ النفس

قال الحسن:

لا يزال العبد بخير، ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته[4].

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٥٧، و«البداية» ٩/ ٢٧٢، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٤٠.

(٢) جاءت في الأصل: (فلا أقسم..).

(٣) «البداية» ٩/ ٢٧٢.

(٤) «البداية» ٩/ ٢٧٢.

عباد الله

قال الحسن:

إن لله عزَّ وجلَّ عباداً كمن رأىٰ أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأىٰ أهل النار في النار مخلدين، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة. حوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة.

صبروا أياماً قصاراً، تعقب راحة طويلة:

أما الليل فمصافة أقدامهم، تسيل دموعهم علىٰ خدودهم، يجأرون إلىٰ ربهم: ربنا، ربنا.

وأما النهار، فحلماء علماء، بررة أتقياء، كأنهم القداح[1]، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضىٰ، وما بالقوم من مرض، أو: خولطوا[2]، ولقد خالط القوم من ذِكرِ الآخرة أمر عظيم[3].

أهل السنّة

قال الحسن:

(١) أي: نحيفة أجسامهم.

(٢) أي: فسدت عقولهم.

(٣) «الحلية» ٢/١٥١، و«تهذيب الحلية» ١/٣٣٧.

السنَّة ـ والذي لا إلـٰه إلا هو ـ بين الغالي والجافي؛ فاصبروا عليها رحمكم الله.

فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضىٰ، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا علىٰ سنتهم حتىٰ لقوا ربهم، فكذلك كونوا[1].

المسلم

قال الحسن:

من علامات المسلم: قوة دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحكم في علم، وحبس في رفق[2]، وإعطاء في حق، وقصد في غنىً، وتحمل في فاقة، وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف وصبر في شدة.

لا ترديه رغبته، ولا يبدره لسانه[3]، ولا يسبقه

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» ص٢٧٦.

(٢) أي: ضبط للنفس في أناة ولين مع أوامر الله.

(٣) أي: يضبط لسانه فلا يسبقه بالكلام فيما لا يريد.

بصره، ولا يغلبه فرجه، ولا يميل به هواه، ولا يفضحه لسانه، ولا يستخفّه حرصه، ولا تقصر به نيته[1].

الإسلام

قال الحسن:

الإسلام وما الإسلام؟ السر والعلانية فيه مشتبهة، وأن يُسْلِمَ قلبُكَ لله، وأن يَسْلَمَ منك كل مسلم، وكل ذي عهد[2].

المؤمن

قال الحسن:

المؤمن من يعلم أنَّ ما قال الله عز وجل كما قال.

والمؤمن أحسن الناس عملاً، وأشد الناس خوفاً، لو أنفق جبلاً من مال ما أمن دون أن يعاين[3]، لا يزداد صلاحاً وبراً وعبادة إلا ازداد فرقاً، يقول: لا أنجو.

---

(١) «البداية» ٩/ ٢٧٠.

(٢) «الحلية» ٢/ ١٥٢، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٧.

(٣) أي: يعاين النجاة بعد المرور على الصراط.

والمنافق يقول: سواد الناس كثير، وسيغفر لي، ولا بأس عليّ، فينسئ العمل، ويتمنىٰ علىٰ الله تعالىٰ[1].

الحض علىٰ العمل

قال الحسن:

يا ابنَ آدم، عملَك عملك، فإنما هو لحمك ودمك، فانظر علىٰ أي حال تلقىٰ عملك.

إن لأهل التقوىٰ علامات يعرفون بها: صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق، وسعة الخلق. مما يقرب إلىٰ الله عز وجل.

يا ابنَ آدم، إنك ناظر إلىٰ عملك يوزن خيره وشره، فلا تحقرنَّ من الخير شيئاً، وإن هو صغر، فإنك إذا رأيته سرَّك مكانه، ولا تحقرن من الشر شيئاً، فإنك إذا رأيته ساءك مكانه.

---

(١) «الحلية» ٢/ ١٥٣، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٨٦، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٨.

فرحم الله رجلاً كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً ليوم فقره وفاقته.

هيهات هيهات، ذهبت الدنيا بحالتي مآلها[١]، وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم. أنتم تسوقون الناس[٢]، والساعة تسوقكم، وقد أُسْرِعَ بخياركم، فما تنتظرون؟ المعاينة؟ فكأن قد.

إنه لا كتاب بعد كتابكم، ولا نبي بعد نبيكم.

يا ابن آدم، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبيعنَّ آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً[٣].

وصدّقه العمل

قال الحسن:

ليس الإيمان بالتحلي، ولا بالتمني، ولكن ما وقر في الصدر، وصدقته الأعمال[٤].

---

(١) لعل المقصود حالتي الرخاء والشدة، وفي «البيان والتبيين» ٣/ ١٣٢: بحاليها.

(٢) الذي في «البيان والتبيين»: تسوفون.

(٣) «الحلية» ٢/ ١٤٣، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٢٩.

(٤) «شرح العقيدة الطحاوية» ص٣٣٩، و«البيان والتبيين» ٣/ ١٤٤.

ميدان المنافسة

قال الحسن:

يا ابن آدم، إذا رأيت الناس في خير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في هلكة فذرهم وما اختاروا لأنفسهم.

قد رأينا أقواماً آثروا عاجلتهم علىٰ عاقبتهم؛ فذلوا وهلكوا وافتضحوا.

يا ابن آدم، إنما الحكم حكمان: فمن حكم بحكم الله فإمام عادل، ومن حكم بغير حكم الله، فحكم الجاهلية.

إنما الناس ثلاثة: مؤمن، وكافر، ومنافق.

فأما المؤمن، فعاملَ اللَّهَ بطاعته.

وأما الكافر، فقد أذله اللَّهُ كما قد رأيتم.

وأما المنافق، فهاهنا معنا في الحُجَر والطرق والأسواق، نعوذ بالله، والله ما عرفوا ربهم، اعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة.

وإن المؤمن، لا يصبح إلا خائفاً، وإن كان

محسناً، لا يصلحه إلا ذلك، ولا يمسي إلا خائفاً، وإن كان محسناً، لأنه بين مخافتين:

بين ذنب قد مضىٰ لا يدري ماذا يصنع الله تعالىٰ فيه.

وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من الهلكات.

إن المؤمنين شهود الله في الأرض، يعرضون أعمال بني آدم علىٰ كتاب الله، فمن وافق كتاب الله حمدَ الله عليه، وما خالف كتاب الله، عرفوا أنه مخالف لكتاب الله، وعرفوا بالقرآن ضلالة من ضل عن الحق[١].

وقال:

من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك، فألقها في نحره[٢].

وقال:

---

(١) «الحلية» ٢/١٥٧، و«تهذيب الحلية» ١/٣٤٠.

(٢) «إحياء علوم الدين» ٣/٢٠٧.

إذا رأيت الناس يتنافسون في الدنيا، فنافسهم في الآخرة، فإنها تذهب دنياهم، وتبقىٰ الآخرة[١].

الاشتغال بعيوب النفس

قال الحسن:

لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتىٰ لا يعيب الناس بعيب هو فيه. ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتىٰ يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه، فإنه إذا فعل ذلك؛ لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر، ينبغي له أن يصلحه، فإذا فعل ذلك، شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره[٢].

عرض العمل علىٰ كتاب الله

قال الحسن:

رحم الله امرأً خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمد ربه، وسأله الزيادة من فضله، وإن خالفه اعتقب وأناب، ورجع من قريب.

---

(١) «الزهد» للإمام أحمد، ص٣٤٥.

(٢) «البيان» ٣/١٣٥.

رحم الله رجلاً وعظ أخاه وأهله، فقال: يا أهلي، صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكنكم مساكنكم، لعل الله يرحمكم. فإن الله تبارك وتعالىٰ أثنىٰ علىٰ عبد من عباده[1] فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم].

يا ابن آدم، كيف تكون مسلماً، ولم يَسْلَمْ منك جارك؟ وكيف تكون مؤمناً، ولم يأمنك الناس؟[2].

نصحَ وأوجز

كتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز:

أما بعد: يا أمير المؤمنين، فإن طول البقاء إلىٰ فناء ما هو، فخذ من فنائك الذي لا يبقىٰ، إلىٰ بقائك الذي لا يفنىٰ والسلام.

فلما قرأ عمر الكتاب بكىٰ، وقال: نصح أبو سعيد وأوجز[3].

---

(١) هو إسماعيل عليه السلام.
(٢) «البيان» ٣/ ١٣٤.
(٣) «حلية الأولياء» ٥/ ٣١٧.

الحرص

قال الحسن:

يا ابن آدم، سرطاً سرطاً، جمعاً جمعاً في وعاء، وشداً شداً في وكاء. ركوبَ الذلول، ولبوسَ اللين. ثم قيل: مات، فأفضىٰ والله إلىٰ الآخرة.

إن المؤمن عمل لله أياماً يسيرة. فوالله ما ندم أن يكون أصاب من نعيمها ورخائها. ولكن راقت الدنيا له، فاستهانها وهضمها[1] لآخرته، وتزود منها.

فلم تكن الدنيا في نفسه بدار، ولم يرغب في نعيمها، ولم يفرح برخائها، ولم يتعاظم في نفسه شيء من البلاء إن نزل به مع احتسابه للأجر عند الله، ولم يحتسب نوال الدنيا، حتىٰ مضىٰ راغباً راهباً، فهنيئاً هنيئاً. فأَمَّن الله بذلك روعته، وستر عورته، ويسر حسابه[2].

---

(١) أي: ظلمها.
(٢) «الحلية» ٢/ ١٤٦، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٢.

﴿ألهاكم التكاثر﴾

كان الحسن إذا قرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر] قال: عمَّ ألهاكم؟! ألهاكم عن دار الخلود، وجنة لا تبيد.

هذا ـ والله ـ فضح القوم، وهتك الستر، أبدىٰ العوار[1]، تنفق مثل ديتك[2] في شهواتك سرفاً، وتمنع حق الله درهماً. ستعلم يا لكع[3]!!

الناس ثلاثة: مؤمن، وكافر، ومنافق.

فأما المؤمن، فقد ألجمه الخوف، ووقمه[4] ذكر العرض.

وأما الكافر، فقد وقمه السيف، وشرده الخوف، فأذعن بالجزية، وأسمح بالضريبة.

وأما المنافق، ففي الحجرات والطرقات،

---

(١) العوار: العيب، والإشارة في قوله: هذا.. إشارة إلىٰ الاشتغال بالتكاثر.

(٢) أي: المال الكثير.

(٣) اللكع: اللئيم والأحمق.

(٤) وقمه: أي رده أشد الرد.

يُسرُّون غير ما يعلنون، ويضمرون غير ما يظهرون، فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة، ويلك! قتلت وليَّه، ثم تتمنىٰ عليه جنته[1].

المال

قال فرقد: دخلنا علىٰ الحسن فقلنا: يا أبا سعيد، ألا يعجبك من محمد بن الأهتم؟

قال: ما له؟

قلنا: دخلنا عليه آنفاً، وهو يجود بنفسه، فقال: انظروا إلىٰ ذاك الصندوق، فيه ثمانون ألف دينار ـ أو قال: درهم ـ لم أؤد منها زكاة، ولم أصل منها رحماً، ولم يأكل منها محتاج، فقلنا: يا أبا عبد الله، فلمن كنت تجمعها؟ قال: لروعة الزمان، ومكاثرة الأقران، وجفوة السلطان.

فقال الحسن:

انظروا من أين أتاه شيطانه، فخوفه روعة زمانه، ومكاثرة أقرانه، وجفوة سلطانه.

---

(١) «البيان» ٣/ ١٣٤.

ثم قال: أيها الوارث، لا تخدعنَّ كما خدع صويحبك بالأمس، جاءك هذا المال، لم تتعب لك فيه يمين، ولم يعرق لك فيه جبين، جاءك ممن كان له جموعاً منوعاً، من باطل جمعه، من حق منعه.

ثم قال الحسن: إن يوم القيامة لذو حسرات، الرجل يجمع المال، ثم يموت ويدعه لغيره، فيرزقه الله فيه الصلاح والإنفاق في وجوه البر، فيجد ماله في ميزان غيره[1].

تهنئة بمولود

قال رجل في مجلس الحسن: ليهْنئك الفارس.

قال له الحسن: فلعله حامر[2]؟!

إذا وهب الله لرجل ولداً فقل: شكرتَ الواهب. وبورك لك في الموهوب، وبلغَ أشده، ورزقت برَّه[3].

---

(١) «البداية» ٩/ ٢٧٣، و«الحلية» ٢/ ١٤٤ برواية قريبة.
(٢) الحامر: ذو الحمار، كما يقال: فارس لذي الفرس.
(٣) «البيان والتبيين» ٣/ ٢٨٤.

الدرهم والدينار

قال هشام بن حسان: سمعت الحسن يحلف بالله: ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله.

وقال الحسن:

بئس الرفيقان: الدينار والدرهم، لا ينفعانك حتىٰ يفارقاك[1].

الاكتفاء بالقليل

قال الحسن:

رحم الله رجلاً لبس خَلْقاً، وأكل كسرة، ولصق بالأرض، وبكىٰ علىٰ الخطيئة، ودأب في العبادة[2].

الغنىٰ والفقر

قال الحسن:

لو شاء الله عز وجل لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم، ولو شاء لجعلكم فقراء لا غني فيكم، ولكن

---

(١) «سير أعلام النبلاء» ٤/ ٥٧٦.
(٢) «الحلية» ٢/ ١٤٩، و«تهذيب الحلية» ١/ ٣٣٤.

ابتلىٰ بعضكم ببعض لينظر كيف تعملون، ثم دل عباده علىٰ مكارم الأخلاق فقال جل جلاله:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

وقال:

كنا نعد البخيل منا الذي يقرض أخاه الدرهم، إذ كنا نعامل بالمشاركة والإيثار، والله لقد كان أحد من رأيت، وصحبت، يشق إزاره فيؤثر أخاه بنصفه، ويبقىٰ له ما بقي.

ولقد كان الرجل ممن كان قبلكم يصوم، فإذا كان عند فطره، مرَّ علىٰ بعض إخوانه فيقول: إني صمت هذا اليوم لله، وأردت إن تَقَبَّله الله مني أن يكون لك فيه حظ، فهلم شيئاً من عشائك، فيأتيه الآخر ما تيسر من ماء وتمر يفطر عليه، يبتغي أن يكسبه أجراً، وإن كان غنياً عن الذي عنده(١).

---

(١) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٣٥.

الصدقة

قال الحسن:

من أيقن بالخلف جاد بالعطية(١).

الحرص

قال الحسن:

ما أُعطي رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له: خذه ومثله من الحرص(٢).

كره الموت

قال رجل للحسن: إني أكره الموت.

فقال الحسن: ذاك أنك أخرت مالك، ولو قدمته لسرَّك أن تلحق به(٣).

إذا عظَّم الأبرار الفجارَ

قال الحسن:

---

(١) «البيان والتبيين» ٣/ ١٤٣.

(٢) «البيان والتبيين» ٣/ ١٤٦.

(٣) «البيان والتبيين» ١/ ٢٦٤.

لا تزال هذه الأمة بخير، ولا تزال في كنف الله وستره، وتحت جناح ظلِّه، ما لم يرفق خيارهم بشرارهم[1]، ويعظم أبرارُهم فجارَهم، ويميل قراؤهم إلىٰ أمرائهم.

فإذا فعلوا ذلك، رفعت يد الله عنهم، وسلط عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب، ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ، وقذف في قلوبهم الرعب[2].

جمع العلم

قال الحسن:

لا تكن ممن يجمع علم العلماء، وطرائف الحكماء، ويجري في العمل مجرىٰ السفهاء[3].

الاستعانة بالأشراف

كتب عمر بن عبد العزيز إلىٰ الحسن:

(١) أي: ما لم يظهر خيارهم الليونة والبشاشة للأشرار، ويسكتون علىٰ مساويهم.

(٢) «الحسن البصري» لابن الجوزي، ص٥٥.

(٣) «إحياء علوم الدين» ١/ ٥٩.

أما بعد: فأشر عليَّ بأقوامٍ أستعين بهم علىٰ أمر الله تعالىٰ.

فكتب إليه:

أما أهل الدِّين فلا يريدونك، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنِّسوه بالخيانة[1].

الابتلاء بالغنىٰ والفقر

قال الحسن:

لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم، ولكنه ابتلىٰ بعضكم ببعض[2].

الذكر نوعان

قال الحسن: الذكر ذكران:

ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل، ما أحسنه وأعظم أجره.

(١) «إحياء علوم الدين» ١/ ٦٩.

(٢) «إحياء علوم الدين» ١/ ٢٢٦.

وأفضل من ذلك: ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل(١).

قيام الليل

قال الحسن:

ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل، ونفقة هذا المال(٢).

اختيار الخاطب

قال رجل للحسن: قد خطب ابنتي جماعة، فمن أزوجها؟

قال: ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها(٣).

الغيرة

قال الحسن:

---

(١) «إحياء علوم الدين» ١/ ٢٩٥.

(٢) «إحياء علوم الدين» ١/ ٣٥٥.

(٣) «إحياء علوم الدين» ٢/ ٤١.

أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق؟ قبح الله من لا يغار(١).

حفظ اللسان

قال الحسن:

ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه.

وقال:

من كثر كلامه كثر كذبه(٢).

إفشاء السر

قال الحسن:

إن من الخيانة أن تحدث بسرِّ أخيك(٣).

ذكر الغير

قال الحسن:

ذكر الغير ثلاثة: الغيبة والبهتان والإفك. وكل في كتاب الله عز وجل:

---

(١) «إحياء علوم الدين» ٢/ ٤٦.

(٢) «إحياء علوم الدين» ٣/ ١١٢، ١١٥.

(٣) «إحياء علوم الدين» ٣/ ١٣٢.

مِنْ مَنشوراتِ المكتبِ الإسلامي

للمؤلف

- أضواء على دراسة السيرة.
- تهذيب حلية الأولياء للأصبهاني.
- الجمع بين الصحيحين للموصلي. تحقيق.
- دراسات جمالية إسلامية:
  - الظاهرة الجمالية في الإسلام
  - ميادين الجمال
  - التربية الجمالية في الإسلام
- السيرة النبوية (تربية أمة وبناء دولة).
- الغرانيق (قصة دخيلة على السيرة النبوية).
- الفرائض فقهاً وحساباً (في جزأين).
- محبة الله ورسوله شرط في الإيمان.
- من معين السيرة.
- من معين الشمائل.
- من معين الخصائص النبوية.
- مواعظ الصحابة.
- هكذا فهم السلف

مشروع

تقريب تراث الإمام ابن القيم رحمه الله

صدر منه عن المكتب الإسلامي:

١ ـ تقريب طريق الهجرتين.

٢ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب.

٣ ـ سيرة خير العباد.

٤ ـ البيان في مصايد الشيطان

٥ ـ القضاء والقدر.

٦ ـ قل انظروا.

٧ ـ فضل العلم والعلماء.

٨ ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.

٩ ـ الهدي النبوي في العبادات.

١٠ ـ الهدي النبوي في الفضائل والآداب.

١١ ـ الروح.

وصدر عن دار القلم بدمشق:

١٢ ـ طب القلوب.

١٣ ـ الجواب الكافي (الداء والدواء).

تحت الطبع:

١٣ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين.

١٤ ـ المهذب من مدارج السالكين.